ومن تلك الألواح ما يمثل موسى عليه السلام طفلاً تخرجه من اليم ابنة فرعون وقد ذهبت مع جواريها تغتسل في النيل فوجدته عائماً في سفط يتغلغل بين أوراق البردي، وإلى جانبها جاريتان تحمل إحداهما صندوقة صغيرة تشتمل من أدوات الطيب على مالا غنى للمغتسل عنها، وهي عادة مصرية قديمة

كانت كنائس اليهود قبل عهد هذا الكنيس لا تستوعب أكثر من ٤٥ مصلياً، ولكن قاعة هذا الكنيس المستطيلة تستوعب ضعف هذا العدد، أي نحو مائة من المصلين، فقد كانت أبعادها (١٣,٥ متراً طولاً في ٧,٥ عرضاً في ٧,٥ ارتفاعاً)

ومما يدل على أبهة هذا الكنيس النفيس أن محرابه القائم في صدره قد كان يزهو بطنافس فارس الجميلة، وتبصر على جانبه صورة شمعدان من الذهب ذي سبع شعب، في كل شعبة منها شمعة تبدد بعض ظلام الكنيس؟ وكانت مقاعد المصلين مُغَشَّاةً أيضاً بالطنافس كما استدل علماء الآثار على أن سماءه (سقفه) كانت مشيدة بالقرمد المزين المنقوش، وكانت أرضه مفروشة أيضاً بنفائس الطنافس

هذا ولئن كانت الأمم تقاس برجالها، والرجال توزن بأعمالها، فقد حقَّ علينا أن نختم هذه الكلمة بكلمة أخرى عادلة في شكر من كان سبباً لحفظ هذا الكنيس في بلادنا ولاعادة بنائه في دمشق غداً، وهو صاحب المعالي وزير معارفنا الهمام السيد حسني البرازي، فقد حاولت بعثة الحفر والتنقيب الأمريكية أن تستأثر به وتحرم من الانتفاع به تلك الأمة التي نبيش من ترابها، ليُنبئ عن عمرانها وأحوال أديانها وآدابها، وكادت تفلح لولا جهاده الميمون وحسن مساعيه لدى الفوضية التي حققت بأخرة أمنيته، فخدم بذلك أجلَّ خدمة بلاده وأمته: ذلك لأن هذا الكنيس المنقطع القرين لم تفتح العين على مثله بعد، ولهذا يقدر بعض علماء الآثار ثمنه بأكثر من مليون جنيه، ويعدونه استثناءً أثرياً لقواعد الكنائس اليهودية التي تحرم التصوير، وما كانت صوره هذه المحرمة بعظيمة الخطورة لدارسي تاريخ الشريعة فحسب، إذ هي لدارسي تاريخ الفن أعظم خطراً، وأبلغ لعمري أثراً

دمشق

عز الدين التنوخي
كاتب سر المجمع العلمي العربي

١٦ ـ قصـــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكي
وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur

صـــلة حديثه

وذهب « جرنيه » إلى الشمال يدرس دود القز في مدينة فالنسين Valenciennes، فكتب اليه بستور أن يعيد إجراء التجربة الفائتة . سأله هذا ولمْ يدرِ لِمَ سأله، وكان جرنيه قد حصل على مجموعة طيبة من الدود السليم، وكان يعتقد على الرغم من تشكك أستاذه أن تلك الكريات التي في باطن الدود ليست سوى أحياء تتطفل عليه فتقتله . فأخذ أربعين دودة سليمة وغذاها بأوراق من التوت لم يمسها أبداً دود مريض، فخرج من هذه الأربعين سبع وعشرون دودة نسجت سبعاً وعشرين شرنقة . وخرج الفراش من الشرانق خلواً من الكريات، فعندئذ عمد إلى فراشات مريضة فسحقها ولوّث بسحيقها أوراقاً من التوت، وغذّى بهذه الأوراق دُويدات سليمة صغيرة، عمرها يوم واحد، فلم تلبث هذه الدُّويدات أن مرضت وهزلت وماتت موتة بطيئة . وتغطى جلدها بالبقع السوداء، وامتلأ جسمها بكريات الداء . وبعد هذا لوّث أوراقاً أخرى بسحيق الفَراش المريض وغذّى بها دوداً سليماً نامياً بالغاً كان على وشك أن ينسج الشرانق . فهذا الدود عاش حتى أتم نسج ثوبه الحريري، ولكنه لما استحال إلى فراش خرج هذا الفراش وبجسمه الكُريات اللعينة، وباض فكان البيض فاسداً . فسرَّ « جرنيه » وثار، وزاد سروره وزادت ثورته في الليالي التي أكب فيها على مكرسكوبه كلما رأى هذه الكريات تزيد في الدود كلما زاد انهياراً وقارب الفناء

وأسرع « جرنيه » الى بستور يصرخ له : « حُلَّت المسألة! فهذه الكُريات حيّة! إنها طفيليّات، وهي التي تُمرض الدود! »

واستغرق بستور ستة أشهر ليقتنع بمقالة «جرنيه» . ولكنه

لما اقتنع وقع على العمل وقوعاً . وجمع أعضاء اللجنة مرة أخرى وخطب فيهم : « إن الكُريّات التي بالدود ليست عرضاً من أعراض الداء فحسب ، بل هي سببه ، وهذه الكُريات حيّة ، وهي تتزايد ، وهي تسير في جسم الفراش المريض اغتصاباً حتى تَعمّ نواحيه . وإنما كان خطأنا الأول لأننا طلبنا هذه الكريات في جزء صغير من جسم الفراش فنظرنا تحت جلد البطن وحده ، أما الآن فلا بد من سحق الفراش كله وفحصه من بعد ذلك ، فاذا نظرنا بالمجهر إلى سحيقه فلم نجد به تلك الكُريات المجهريّة حكمنا بسلامته واتخذنا بيضه للتفريخ في الربيع المقبل »

وتفرق رجال اللجنة واتبعوا تعاليم بستور فنجحت التجربة ، ودار العام فأفرخ البيض دودا صحيحا قوياً نامياً أعطاهم غلّة من الحرير وافرة

استيقن بستور الآن أن هذه الكريات الطفيلية سبب الداء وأنها لاتنشأ داخل الدود ، وإنما تأتيه من الخارج . فطاف في الريف يعلم الناس كيف يمنعون نسل الدود السليم من أن يمس أوراقاً مسها دود سقيم ، وبينا هو في هذا أصابه نزيف في المخ فكاد يموت . ولكنه سمع أنهم أوقفوا بناء معمله الجديد اقتصادا وفي انتظار موته ، فأغضبه ذلك وأصر على أن يعيش . وشُلّ أحد نصفيه شللا لم يشف منه تماما في مستقبل أيامه ، ولكنه قرأ كتاب الدكتور « سمايلز » في الاعتداد بالنفس ، فاعتزم اعتزاماً قوياً أن يعمل على الرغم من عجزه ؛ فبدل أن يرقد في فراشه ، أو يستشفي على البحر ، نهض في عسر على قدميه ، وحجَل إلى القطار ، وسافر إلى جنوب فرنسا وهو يصيح غاضباً : « إن من الاجرام القعود عن تخليص الدود من الوباء ، بينا الكثير من أربابه يطلبون القوت فلا يجدونه » فأعجب به الفرنسيون وأكبروه إلا نفراً قليلاً يحبون الأذى ؛ فهؤلاء قالوا : إنما هي صيحة قصد بها الدعاية لنفسه لا خير الناس

وقضى بستور ست سنوات يجاهد أدواء هذا الدود المسكين ، فانه لم ينته من علاج ندوته حتى ظهر به مرض جديد ، ولكن بستور كان قد دَرِب على هذا النوع من البحث فكشف عن مكروب الداء سريعاً ، وجاءه دوماس الشيخ يشكره وقد امتلأت عيناه بالدموع . وتحدث عمدة « ألياس » عن اقامة تمثال من الذهب لبستور العظيم

— ٧ —

وبلغت سنّه الخامسة والأربعين ، فأخذ يَنْعم حيناً بالمجد الذي كسبه من تخليص صناعة الحرير مما حاق بها ، وذلك بعون الله وعون « جرنيه » . ثم رفع عينيه الى مجد أسمى ، وأمل أسنى ، وحُلُم مستحيل برّاق ، حُلُم من تلك الأحلام التي ارتأتها نفسه الشاعرة ، حلم من تلك الأحلام المستحيلة التي قد لاتضن الأقدار ببعض تحقيقها أحياناً ؛ نعم رفع عينه الفنّانة من أمراض الديدان إلى أحزان الانسان ، ونفخ في البوق نفخة داوية يبشر المرضى البائسين بقرب بلوغ دار الأمان ، قال : « إن في مقدور الانسان أن يمسح عن وجه الأرض كل الأدواء التي يسببها تطفل الأحياء عليه ، هذا على فرض أن نظرية النشوء التلقائي نظرية باطلة ، وأنا واثق من بطلانها »

وجاء عام ١٨٧٠ بحصار باريس في ذلك الشتاء القارس ، فخرج عنها تاركا أعماله ، تاركا معامله ، وذهب الى قريته القديمة في جبال « الجورا » . ثم ذهب الى ميدان القتال يبحث بين الأشلاء عن جثة ابنه الصريع ، وقد كان جاويشا في الجيش الفرنسي . وعلى هذه الأرض ، وبين هذه الدماء ، نشأ فيه كره للألمان ولكل شيء ألماني أخذ ينمو ويفيض حتى تشرب به كل عصب من أعصابه ، وبقي معه بقية حياته . واتخذ من أجل ذلك الوطنية صناعة . وأخذ يصرخ في الناس : « لمن كل مؤلف من مؤلفاتي سيطالعكم عنوانه بكراهة بروسيا ، ويناشدكم الثأر والانتقام . » وبسخافة فاخرة بدأ بحثه الأول بفعله للثأر والانتقام . واعترف أن بيرة فرنسا دون بيرة الألمان ، فنهض يبحث ليجعل بيرة فرنسا فوق بيرة الألمان ، بل فوق بيرات الأمم جمعاء

وقام برحلات كثيرة واسعة المدى الى مخامر فرنسا الشهيرة ، وأخذ يُلقي الأسئلة الى كل من يَلْقَى فيها ، من رئيس الخمارين في معمله ، الى غسّال الأواني البسيط في مَغْسله . وذهب الى انجلترا فأسدى النصائح الى الرجال الفنّانين ذوي الوجوه الحمر الذين يَحذقون صنع النبيذ الانجليزي ، والى الخمارين الذين يخرجون تلك الجعات القدسية بمدينة بِرْتُن Burton . وحرّر مجهرَه الى الألوف من البيرات ، ورقب الخمائر وهي تتقسم وتصنع الكحول . وكان يقع أحياناً فيها على هذا الحُسَيّ اللعين الذي وجده فيها أعواماً مضى وأثبت أنه سبب فسادها ، وكان ينصح

لأصحابها بتسخين البيرة لقتل هذه الحيَّات ، ويؤكد لهم أنهم لو فعلوا إذن لزادت بيرتهم جودة وطابت مذاقا ، واذن لاستطاعوا تسفيرها مسافات بعيدة وهى صالحة . وكان يسأل أصحاب المخامر مالاً لمعمله ، ويذكر لهم أن ما يجودون به اليوم يعود عليهم بالنفع فى الغد أضعافاً مضاعفة . وبهذا المال قلب معمله بمدرسة الترمال إلى مصنع علمىّ صغير للبيرة ، لمعت فيه البراميل النحاسية الجميلة ، ووهجت الغلايات الصقيلة

وبدأ عملاً مجهداً متواصلاً ، ولكنه لم يلبث أن سئمه ، لأنه كان يكره طعم البيرة كما يكره رائحة الطُبَّاق . وزاده منه سأماً أنه وجد أن الباحث العالم فى البيرة لابد له من أن يكون ذوّاقاً حكيما لها . ووجد كذلك أن البيرة الجيدة تحتاج فى صناعتها إلى أمور أخرى غير منع المكروب من دخولها . وكان لعلم الفيزياء أستاذ يدعى برتان Bertin ، كاد يضحك من بستور لكراهته إياها . كان بستور كلما أراد مذاقها جمّد من أنفه الأفطس ، وغاص بشاربه فى كوزها الراغى ، وبلع فى عسر وكآبة ماتحتم بلعه من جرعاتها . كره البيرة مافسد منها وماطاب . أما صديقه الفيزيائى فكان يلعق شفتيه بعد شربها ويصفقهما ، ويتهلّل وجهه بشرا وتمتلئ أساريره خبثاً وهو يضاحك بستور فيها ، لأنها بيرة ذاقها بستور فحكم عليها بالفساد . حتى لضحك منه مساعده الشاب ، ولكنه لم يجرؤ بالطبع أن يضحك فى وجهه . مسكين بستور ! كان بحاثاً قديراً ، ولم يكن فيه جمود ، ولم يكن فيه ركود ، وكان سريع التحوّل ، سريع التشكل للظروف ، سريع الألفة لكل جديد — إلا البيرة . لحب البيرة كأنه يخلق ولا يكتسب . واللسان الذوّاق للبيرة تجود به الطبيعة على قليل من الناس ، كالأذن الموسيقية ليست متاعاً لكل أحد

ومع هذا فلست أنكر أن بستور أعان صناعة البيرة الفرنسية إعانة كبيرة ، وقد شهد بهذا الخمارون أنفسهم ، أما الذى أتشكك فيه فهو الذى يقول به أحبابه ومريدوه وعُبّاده من أنه رفع البيرة الفرنسية فجعلها ندّ الألمانية . على أنى لا أنكر ذلك عليه ، ولكنى أود لو عُرضت هذه الدعوى على لجنة تحكيم من تلك اللجان العادلة الدولية الوقورة ، من تلك اللجان الذى كان بستور نفسه يقترح على الدنيا أن تلجأ اليها كلما أزمته خصومة لتقضى له أو لخصمائه اللعينين . . .

(يتبع)

أحمد زكى

٢٥ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الاستاذ زكى نجيب محمود

ـ كذلك كلما ازدادت البرودة على النار فاما أن تتراجع أو تفنى وإذ تكون النار تحت تأثير البرودة ، فلن يلبثا ناراً وبرودة ، كما كانت الحال من قبل

قال : هذا حق

ـ وفى بعض الحالات لا يكون اسم المثال (Idea) مقصوراً على المثال ، بل إن لكل شىء آخر حق المشاركة فى الاسم ، ما دام موجوداً فى صورة المثال ، من غير أن يكون هو المثال ، وسأسوق إليك مثلا لعلى أوضح هذا القول : أليس يطلق دائماً اسم الفردى على العدد الفردى ؟

ـ جد صحيح

ـ ولكن هل هذا وحده هو الشىء الذى يسمى بالفردى ؟ أليس ثمت أشياء أخرى لها أسماؤها الخاصة بها ، ويطلق عليها رغم ذلك اسم الضرورى ، لأنها وإن كانت ليست هى الفردية ذاتها ، غير أنها لاتخلو من الفردية قطعاً ؟ ـ هذا ما أريد أن أستجيب عنه ـ أليست الأعداد ، كرقم ثلاثة مثلاً ، من نوع الفردى : وهناك غير هذا كثير من الأمثلة : ألست تقول مثلاً إنه يجوز أن يدعى رقم الثلاثة باسمه الأصلى ، ثم يطلق عليه كذلك اسم الفردى ، وليس الفردى هو الثلاثة ذاتها ؟ وليس يقال هذا عن العدد ثلاثة فقط ، بل إنه جائز أيضاً على خمسة ، وعلى كل الأعداد المتعاقبة ـ كل منها فردى دون أن يكون هو الفردية ؛ وهكذا قل فى اثنين وأربعة وسائر سلسلة الأعداد المتعاقبة ، كل عدد زوجىّ دون أن يكون هو الزوجية . هل تسلم بهذا ؟

قال : نعم ، وهل إلى انكاره من سبيل ؟

ـ ألق بالك إذن إلى الغاية التى أنشدها ؛ ليست الأضداد المعنوية وحدها هى التى يطرد بعضها بعضاً ، بل كذلك الأشياء المجسدة التى وإن لم تكن متضادة فى ذاتها إلا أنها تحتوى أضداداً ؛